الأستاذة: د. أمينة أونيس
كلية الآداب واللّغات
قسم اللّغة والأدب العربي
السنة الدراسية: 2023/2022.
السداسي الأوّل

المادة: التجريب في الأدب الجزائري المعاصر
(محاضرة)
الاختصاص: الأدب العربي الحديث والمعاصر.
السنة: الثانية ماستر.
الأفواج: 01 + 02 + 03 + 04.

محاضرة رقم: 05

إشكالية التعدّد اللّغوي

إنّ أهمية التنوع اللغوي تتجسد في تحرير النص الأدبي من سلطة اللغة الواحدة، وكذا من نير الرؤية الواحدة إضافة إلى ذلك، فهو يفسح مجال محاورة اللغات لبعضها البعض، من جهة، وتحطيم صورة النموذج من جهة ثانية .وعليه تكون الرواية ظاهرة متعددة الأسلوب واللسان والصوت، فتطرح على المحلل مهمة اكتشاف الوحدات الأسلوبية اللامتجانسة التي تتمظهر في أشكال لسانية مختلفة وخاضعة لقواعد لسانية متعددة في الآن ذاته ، لذا تمثل الرواية" التنوع الاجتماعي للغات، وأحيانا للغات والاصوات الفردية، تنوعا منظما أدبيا .وتقضي المسلمات الضرورية بأن تقسم اللغة القومية الى لهجات اجتماعية، وتلفظ متصنع عند جماعة ما، ، ولغات للأجناس التعبيرية، وطرائق كلام بحسب الأجيال، والأعمار، والمدارس، والسلطات، والنوادي، والموضات العابرة، وإلى لغات للأيام بل للساعات (الاجتماعية والسياسية)كل يوم له شعاره، وقاموسه، ونبراته.

إن الرواية تشيد موضوعها، إذا، اعتمادا على تعدد اللغات والأساليب والأصوات، فهي تستقبل داخل بنائها عناصر ووحدات غير متجانسة، إذ تحتوي على لغات للمهن وللأجناس التعبيرية وللفئات الاجتماعية...وهي عناصر تتداخل فيما بينها فتشكل نسقا أدبيا منسجما .وطبقا لذلك، يظهر بأن بنية الرواية تتسم بالتعدد، غير أن هذا التعدد لا يؤدي إلى تفكيك النسق السردي، بل هو صيغة جديدة في الكتابة الأدبية تنتقد الصياغة الاختزالية، وتفصح عن الطبيعة التركيبية الحوارية للخطاب الروائي، وتعرب عن لغته المتنوعة.

وجبت الإشارة هنا أن باختين عمل على تشييد رؤية خاصة للغة الروائية؛ رؤية مدعومة بمنظورين :الأول لساني، والثاني اجتماعي .لهذا، وبناء على رؤية زمنية، يعد باختين من رواد التيار السوسيونصي، لأنه عمل على تخليص النص الأدبي عامة، والروائي خاصة من قبضة السوسيولوجيا الميكانيكية.

من هنا فاللغة في الرواية لا تعكس الواقع الاجتماعي وفق رؤية ميكانيكية، بل تقدم تصورا عن هذا الواقع؛ حيث تصبح اللغة وسيطا يقدم من خلاله المبدع تصوره للحياة الاجتماعية. خارج أي نزعة تفضيلية، وتجاوزا لأي نظرة مرتبطة بالسيرورة التاريخية للجنس الروائي، تبقى الرواية جنسا ادبيا متمردا على سلطة اللغة الوحيدة .وانفتاح الرواية على التعدد اللغوي، باختلاف أشكاله وتنوع صيغه، ارتبط بتصور ميخائيل باختين للغة الرواية.

أقوال الشخوص الروائية

يتم إدراج التعدد اللغوي في جسم الرواية عبر خطابات الشخوص، فهي ترجم خطابات الآخرين داخل لغة أجنبية، التي يقبع خلفها، حيث تتم بالنسبة للكاتب .إن الروائي يعمد إلى عرض أقوال الشخوص مع الحفاظ على اللغات الخاصة، التي يقبع خلفها، لبقائه خارج لغا ت المقابلة بينهم في إطار حواري دون تدخل من قبل المبدع الذي يشرع في التأثر ، ويمكن للكاتب حيث تتم المقابلة بينهم في إطار حواري دون تدخل من قبل المبدع الذي يشرع في التأثر بهم لبقائه خارج لغاتهم، ويمكن للكاتب يلتقي

بشخوصه في المناطق المحيطة بهم، ففي هاته المناطق تهيمن أشكال البنيات الهجينة الأكثر تنوعا ودائما تكون تقريبا في صيغة حوار، وداخلها ينتشر الحوار بين الكاتب وشخوصه، وهو ليس حوارا دراميا متمفصلا إلى ردود، بل أنه حوار خاص بالرواية، منجز داخل بنيات لها مظهر مونولوجي.

غير أن ما نلاحظه على" باختين "من خلال حديثه عن شكل" أقوال الشخوص "كعنصر من عناصر التعدد اللغوي، أنه يحصر هذا الشكل في صيغة الحوار المباشر بين الشخوص الروائية.

الأجناس المتخللة

لما كانت الرواية جنسا تعبيريا مفتوحا، فقد استقبلت داخل بنائها أشكالا تعبيرية متباينة سواء كانت أدبية أو غير أدبية حيث تستوعب في نسيجها أشعار وقصص ومقاطع كوميدية ...إن هاته العملية لا تؤدي الى انصهار تلك الاجناس داخل ا الخاصة ضمن الكيان الروائي، ومن ثم، تنوع لغته .إضافة النسيج الروائي، بل تحرص على الاحتفاظ باستقلالها، إذ تدرج لغاتها الخاصة ووسائلها الأسلوبية المميزة، فإن الرواية تتفاعل مع أنواع غير أدبية كالنصوص الفلسفية والعلمية والدينية.

ومن وجهة نظر تاريخية، فإن الرواية نشأت في ملتقى الأجناس الأدبية، واعتمدت على آلية التفاعل واستعارة النصوص ا الطويلة لتشكيل قالبها الفني.

التشخيص الروائي للغة:

تعد الحوارية من أهم المفاهيم التي أدرجها ميخائيل باختين ضمن حقل النقد الروائي، بوصفها تمثل مفهوما مركزيا في الخطاب عامة، والخطاب الروائي خاصة .وقد استنبط هذا المفهوم من خلال دراسته لأعمال دستويفسكي، حيث تتجسد العلاقة الحوارية بين الأبطال، ذلك أن الخطاب الذي يكونه البطل حول نفسه يتكون من الخطابات التي يكونها الآخرون حوله : إنه يتكلم ويفكر من خلال الآخر .ومن هنا تتداخل أصوات متناقضة وأحكام ووجهات نظر متنوعة على فم واحد.

و من هنا يكون الخطاب ذاتيا وجماعيا في الوقت نفسه، فهو يتشكل داخل الحوار الذي يقام بين المتكلمين حول موضوع محدد يكون فيه هذا الأخير نقطة تقاطع بين المتكلم والمتلقي والسياق .فالخطاب من هذا المنظور يولد داخل الحوار مثلما تولد إجابته الحيوية، ويتكون داخل فعل حواري متبادل مع كلمة الآخر بداخل الموضوع، فالخطاب يفهم موضوعه بفضل الحوار.

إن التشخيص الأدبي يجعلنا نؤمن بأن الرواية هي التعدد الحواري الذي يعود إلى البنيات الاجتماعية، ويسائل مكوناتها الداخلية .ويورد باختين عدد من الطرائق لتشييد سيرورة اللغة في الرواية.

نموذج تطبيقي رواية (اللاز)

رواية اللاز هي الرواية الثالثة التي صدرت باللغة العربية للطاهر وطار في الجزائر، ومن ثمة كان أمامها خيار التعدد اللغوي لإثبات مركزيتها في الإبداع العربي عامة والجزائري خاصة، ولعل استثمار الروائي لمفاهيم الثورة الجزائرية هو الذي جعله يبدع نصا متعددا ومختلفا منحيث:

أ . اختيار لغة تفاقم الخلافات والتناقضات في مكونات الثورة السياسية والعسكرية.

ب. وجود صوت السياسي والعسكري، وجهة التحرير الوطني والحزب الشيوعي الجزائري في الرواية.

ج. وجود لغة التصفية الجسدية بمصطلحاتها اللغوية مثل) الموت، القساوة، الخونة.

د . اللجوء إلى الأسلوب التقريري الجاف (الأسلبة)

هـ. إدخال اللغة العربية ومفاهيم اللغة الفرنسية (التهجين).

ثم في النهاية نبرة السخرية (لغة الباروديا).

ملاحظة:

- **يجب النظر في المصطلحات والمفاهيم التي تناولناها أثناء المحضارة (حضوريا) مع الإطلاع على نماذج تطبيقية حول هذا الموضوع.**